فاروق بين الواقع والمبالغات

- فاروق ضحية المرض والأب والخلافات العائلية ومستشارى السوء.
- نازلى أمه طلبت إليه التلصص على أبيه من ثقب الباب.
- طبيب إيطالى يحذر فؤاد من احتمال إصابة فاروق بمرض عقلى.
- السفير البريطانى يصف خطاب إقالة النحاس بـ «الوقح».

لعب يوم السبت فى حياة فاروق دورًا بارزًا.

ففى يوم السبت ١١ فبراير ١٩٢٠ كان مولده.

وفى يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان حريق القاهرة الذى وضع قنبلة الانفجار تحت عرشه.

وفى يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢ كان يوم خروجه من مصر مغلقا صفحة الملكية فى التاريخ المصرى.

ولابد من الاعتراف بأن فاروق كان ضحية عوامل عديدة منها مرضه وهو صغير فى سن التاسعة - وهو ما سنتحدث عنه بتفصيل أكثر - والجو العائلى المضطرب الذى كان يخيم على قصر عابدين (علاقة أبيه الملك فؤاد والملكة نازلى) وإباء والده أن يربيه تربية مصرية خالصة، وحرمانه بسبب ذلك من مزاولة اللعب مع أطفال مصريين يتحد فيه روح الصداقة والحب لمصر ويخففون عنه شعور الوحدة.

كل ذلك ترك فى نفس الطفل آثارا ترسبت فى عقله الباطن.

وحين شب الطفل تم إرساله إلى إنجلترا.

وعهد والده إلى أحمد حسنين أمر تعليمه ومن سوء حظ فاروق أن حسنين عمل على إرضاء نزوات من عهد إليه تربيته أكثر من حرصه على تزويده بالمعرفة.

وفى سن السابعة عشرة جلس فاروق على العرش؛ ووجد الكبار ينحنون له، وعظماء مصر يقبلون يده.

وفى هذه السن الصغيرة زين له المستشار السياسى على باشا ماهر فكرة إقالة حكومة الأغلبية بخطاب وصفه السفير البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت فى تقرير بعث به إلى حكومته «إننى لم أقرأ فى حياتى اقالة أكثر عنفا وأشد بذاءة مما فى هذا الخطاب الذى وجهه فاروق إلى مصطفى النحاس»! وهكذا منذ الأشهر الأولى لحكمه خرج فاروق على كل الأعراف الدستورية والسياسية والأخلاقية.

وهكذا ببساطة شديدة يمكن القول بأن فاروق كان ضحية حقيقية..

ضحية المـرض، وضحية الخلاف العائلى، وضحية والد لم يكن يحب المصريين، وضحية تنصيبـه ملكا وهو فى طـراوة الصبا وضحالة التعليم، ثم بعد ذلك ضحية المستشـارَيْن اللَّذَيْنِ كانوا معه فى القصر، أحدهما «أحمد حسنين» يزين له النزوات، والآخر «على ماهر» يعلمه انتهاك الدستور.

يكذب على الآخرين

ولكن هناك نقاطا أثيرت عن فاروق لم تكن صادقة:

لقد كان يقال عنه إنه كان مخمورا دائما، ولكننى استطيع القول بأن فاروق لم يكن كذلك، بل ربما أذهب إلى حد القول بأنه لم يذق الخمر طول حياته.

وقد قيل: إنه كان عميلا للاستعمار الانجليزى، ولكننى أستطيع القول بأنه لم يكن كذلك لأنه وطنى صميم ولكن بسـبب الكراهية المريـرة التى تربت فى داخله تجاه الانجليز عندما اهانوه إهانة بالغة يوم ٤ فبراير ١٩٤٢.

لقد كان يقال عنه: إنه زير نساء، ولكننى أستطيع القول أيضا بأنه لم يكن كذلك لأسباب كان يحاول اثبات عكسها.

ولعل اغرب ما فى شخصية فاروق أنه كان يحاول أن يقال عنه غير الذى هو فيه؛ بل وكان يبالغ فى بعض التصرفات التى يحاول أن يثبت بها ما كان يتمنى أن يقال عنه وهو غير ذلك! كان يكذب على الآخرين ويتمنى ايضا أن يكذب على نفسه.

طبيب يحذر فاروق

فى عام ١٩٣٩ كنت سـكرتيرا خاصا للمرحوم محمد باشـا محمود رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت.

ومنـه سمعت هذه الحكاية التى أيدها لى فيما بعد والدى المرحوم الشـيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق.

وقد عرفت أن مصدر الاثنين فى هذه القصة واحد وهو المرحوم زكى باشـا الابراشـى ناظر الخاصة الملكية.

كان الأمير فاروق نائما حين دخلت عليه مربيته الانجليزية صباح يوم من الأيام. وأخذت تزيح السـتائر المخملية وتفتح النوافذ على عادتها، فانطلقت أشـعة الشـمس إلى رأس الطفل

الذهبى الشعر، ولكنه ظل مغمض العينين، فأخذت المربية تهز كتفه وتصيح: قم أيها الطفل الكسول، إن الساعة بلغت السابعة. ولكن الطفل لم يتحرك بل صدر عنه أنين خافت، فهزته مرة أخرى، فتابع أنينه ولم يتكلم، أثار ذلك قلقها، وزاد منه إذ رأت وجهه محتقنًا شديد الاحمرار، فوضعت يدها على جبهته، فوجدتها ساخنة جدًا. أخذت تربت على خده، ففتح الأمير عينيه قليلا، واستمر أنينه، ولم يبق عندها شك فى أنه مريض، فأسرعت وجاءت بميزان الحرارة ووضعته تحت إبطه فترة، ثم أخرجته وتطلعت فيه وصرخت بصوت خافت: يا إلهى إنه مريض جدًا، وكانت الحرارة أربعين درجة مئوية.

هرعت المربية إلى الملكة وأخبرتها، فهرولت الأم إلى غرفة الأمير وطلبت من المربية استدعاء طبيب القصر على عجل، لم يستطع الطبيب فى بادئ الأمر أن يشخص المرض، فاستدعى أطباء آخرين انتبهوا إلى أن الأمير مصاب بالحمى الشوكية النخاعية.

وقرر الملك فؤاد أن يستدعى على عجل طبيبًا ايطاليًا شهيرًا. وإذا لم تخنِّى الذاكرة فإن اسمه هو البروفسور فرجونى الذى تولى علاج الملك فؤاد حين أصيب بمرض القلب، مرت على الأمير الطفل فترة عصيبة تراوح فيها الأمل بين الشفاء واليأس.. ولكن الأمير شفى.

وذهب الإبراشى إلى مكتب الملك فؤاد يهنئه بشفاء ولى العهد ودار بينهما الحوار التالى:

الإبراشى: جئت يا مولاى لأقدم أصدق التهانى بسلامة سمو ولى العهد.

ولكن، وبعد فترة صمت وسحابة حزن واضحة كست وجه الملك فؤاد إنه نظر إلى الابراشى ثم قال:

– يا زكى لا أدرى هل كان عليك أن تهنئنى أم تعزينى؟!

الإبراشى: لماذا تقول ذلك يا مولاى ؟!

الملك : اسمع يا زكى، إنى لا أريد أن أخفى عنك الحقيقة المؤلمة، وخاصة أنت بالذات، لأنى لا أشك فى إخلاصك لى ولعرشى. لقد حضر الطبيب الايطالى صباح اليوم مستأذنا فى السفر. شكرناه بحرارة على براعته فى علاج فاروق. فرد على بإطراق رأسه وتمتم عبارة لم اسمعها. ولما قمت لمصافحته إيذانًا بانصرافه تردد قليلا قبل أن يمد يده إلىّ ثم قال مضطربًا:

– سيدى أود أن أقول شيئًا قبل أن أسافر.

قلت له – والكلام على لسان فؤاد – تفضل:

قال الطبيب: سيدى إن إصابة ولى العهد كانت شديدة جدًا. وأخشى أن تكون قد أثرت بعض الشىء على المخ.

ولما لاحظ الطبيب اضطرابى قال: إن أقول أخشى، ولا أقول إنى متأكد، ثم سكت.

قال الملك يسأل الطبيب: هل معنى ذلك أن قواه العقلية قد تصبح غير مكتملة؟

قال الطبيب: سيدى قد لا يصل الأمر إلى هذا الحد إذا لم تحصل مضاعفات، ولذا أنصح بوضع الأمير تحت عناية طبيب خاص ولفترة طويلة ولى أمل كبير أن يشفى تماما من آثار المرض. لقد وصفت «روشيته» بعلاج ورعاية طبية وأرجو أن يواظب على تعاطى العلاج.

وهنا سكت الملك.

ظل زكى الإبراشى حائرا لايجد شيئا يقوله. فقال الملك:

- يا زكى ستكون مصيبة لو أن المرض ترك أثرًا على عقل ولى عهدى. إنك تعلم أن الشيخوخة ومرض القلب يعتصرانى، وفاروق هو الصبى الوحيد المؤهل لولاية العرش من ذريتى. وآخر مولود جاء بنتا ولم تبق فى البندقية خرطوشة أخرى. إن فاروق هو وريث عرش بنيته فى مهب العواصف، وقويته وأمنته فأصبح راسخا حتى على أشدها وأعتاها، فهل أتركه لوريث لا يجد كفاية من العقل ليحفظ العرش ويصونه؟!

قال الإبراشى: يا مولاى إن الله كان دائما معك وسيكون معك ومع ابنك.

قال الملك: الله أعطانى الملك والمال بعد أن كنت فقيرا مدقعًا منبوذًا من أسرتى. ولكنى أراه الآن وقد تخلى عنى، وكأنه يسحب منى ما أعطانى. إن نهايتى تدنو وأنا أحس بذلك.

قال الإبراشى: ولكن ولى العهد سيشفى من آثار المرض يا مولاى. كن مطمئنا. إن شعورى لا يخيب.

قال الملك: هذه أمنية، أشكرك عليها. ولكن إذا لم يشف فاروق فهل يذهب عرشى إلى الأمير محمد على. كم أكرهه ويكرهنى بل كم أكره هذه الأسرة اللعينة.

الإبراشى: سيدى إن ملوكا كثيرين حكموا ولم يكونوا على اكتمال عقل.

ولاحظ الإبراشى امتعاض الملك، فتدارك قائلا:

- لا تؤاخذنى يا مولاى إذا ضربت مثلا سيئا لأخفف الأمر عليك. لكن لى أملاً ورجاء، هو أن يحاط الأمير حين يتولى الملك بعد عمر طويل لجلالتكم، بحاشية عاقلة ومخلصة ومستشارين يسهلون عليه مهمة الحكم.

الملك ساخرا: حاشية عاقلة ومخلصة يا زكى! إن الحاشية لو كانت عاقلة فلن تكون مخلصة، ولو كانت مخلصة فهى ليست عاقلة، وقصارى ما تصل إليه أن تكون منافقة.

طفولة غريبة

كانت طفولة فاروق طفولة انعزالية داخل أسوار القصر. لم يكن يرى والده إلا نادرا. وكان دائمًا بصحبة أمه. والمفروض فى الطفل أن يكون له أصحاب من سنه يلعب معهم. ولكن الملك فؤاد حرم ابنه هذه المتعة الضرورية. كان فاروق لا يتكلم إلا مع مربياته الثلاث: الانجليزية والفرنسية والايطالية ومع مدرسين لبعض العلوم جلبهم أبوه له ليعلموه داخل أسوار القصر. لقد أبى حتى أن يرسل ابنه إلى أحدى المدارس الخاصة التى تعلم أبناء الطبقة الراقية حتى لايختلط بأبناء المصريين. وفى هذا دلالة واضحة على شعور الملك فؤاد نحو شعبه، وأقول إن هذه الدلالة لم تكن فقط فى نفس الملك فؤاد بل تكاد تكون شعورا عاما فى نفوس أمراء الأسرة المالكة جميعا.

يتلصص على أبيه !

أحب فاروق أمه حبا جما، لأنها كانت تمضى أكثر وقتها معه، وكره والده لما رآه من قسوته البالغة وغيرته الهوجاء على الملكة، فلا ينقضى يوم من غير أن يعنفها ويشتمها أمام ابنها. وكان يرى المهانة التى تتعرض لها أمه من مديرة القصر «الكلفة» التى كانت لها حظوة بالغة عند الملك فؤاد. وكانت هذه الكلفة هى الآمرة الناهية فى القصر حتى إنها كانت تحطم أوامر الملكة وتأمر خدم القصر بألا يأبهوا لها.

وكانت تتجسس على الملكة وتنقل إلى الملك عنها أخبارًا كاذبة لتثير غضبه عليها. وقد نقلت إليه مرة أن الملكة كانت واقفة شبه عارية فى شباك غرفتها تبتسم لأحد ضباط الحرس الشبان. وكان جميل المظهر. فذهب الملك لتوه إلى غرفة الملكة وقد لسعته عقارب الغيرة.

ولسوء حظ الملكة وجدها قريبة من النافذة حين فتح الباب، فانهال عليها لكما وركلاً وأصابها بجراح فى وجهها أمام فاروق. ومنذ ذلك اليوم لم يبق من الحرس الملكى ضابط حسن الصورة. وعلمت الملكة أن التى وشت بها هى «الكلفة». وكانت تعلم أن للملك علاقة خاصة معها. وأرادت أن تتحين الفرصة لتفاجىء الملك معها وتكيل له الصاع. وهداها تفكيرها إلى أن ترسل فاروق يتلصص على أبيه من ثقب الباب، ويستمع إلى ما يدور بينه وبين الكلفة.

وهكذا كانت طفولة فاروق حرمانًا من صحبة الأطفال وابتعادا عن أبيه ورؤيته لأمه وهى تضرب وتهان، واستماعه أغلب الوقت إلى حديث السيدات اللاتى يسمح لهن بدخول القصر للتحدث إلى أمه، ومن هذه العوامل نشأ فى نفس فاروق مركبات نقص لازمته طوال حياته.

فـكان وهو ملك يدخل بيوت أصدقائه من الطبقة الارسـتقراطية متلصصا بعد أن يأمر البواب بعدم التحرك، ويمضى وقتا طويلا تحت النوافذ يسـترق السـمع إلى أحاديث أصحاب البيت. ثم يخرج من غير أن يدخل. وكان يحلو له أن يفاجيء عشـيقاته ومعه بعض رجال حاشيته. وذات ليلة توجه إلى عمارة تقطنها سـيدة لها به علاقة، وذهب هو إلى مدخل الشـقة وترك رجل الحاشية عند باب الخدم، ودق هو جرس الباب، ولما علمت السيدة بأنه فاروق لم تفتح البـاب. فأعاد دق الجرس بقوة. وكان عندها صحفى بدأ يشـتهر من عمله فى صحيفة كبيرة فهربته من باب الخدم ليجد نفسـه وجهًا لوجه مع رجل الحاشـية. وعادت وفتحت الباب للملك. وسـألها لماذا تمهلت فى فتح الباب. فأخبرته بأنها كانـت نائمة. وعلم فاروق ببقية القصة من رجل الحاشية. وأرسل يأمر أصحاب الصحيفة بفصل ذلك المحرر. ولكنه بقى بعد توسل ورجاء ووعد بألا يعود إلى مثلها.

□□□

١ – فاروق مع أمه الملكة نازلى .

٢ – الملكة نـازلى ومعها ابنهـا فـاروق وشـقيقاته عندما كانوا أطفالا .

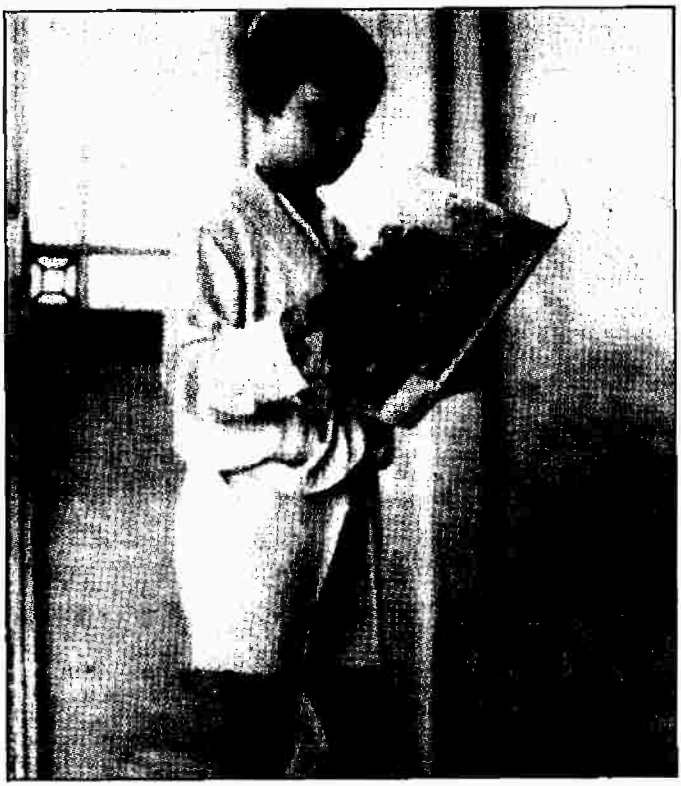

٣ – الملـك فـاروق فـى صباه .

٤ – أبناء الملوك ينضجون سريعا .

٥ – فاروق بصحبة أحمد حسنين أثناء فترة دراسته بلندن أوائل عام ١٩٣٦ .

٦ – فاروق أثناء تواجده فى لندن .

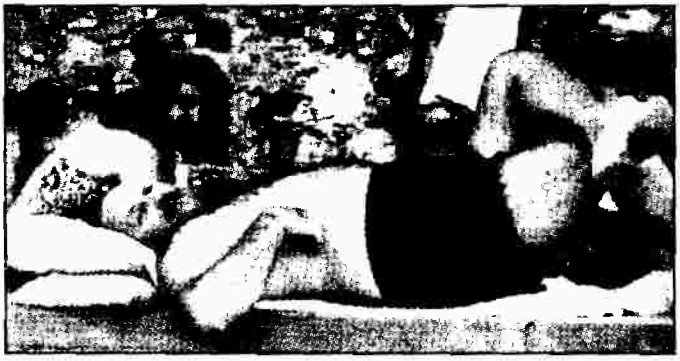

٧ – فـاروق يلهـو فـى روما .